

الفصل الثاني

دور الدعاة العلاجي

في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري

المطلب الأول : العلاقات الفردية

المطلب الثاني:العلاقات الأسرية

المبحث الثاني:المستوى الاجتماعي

المطلب الأول :العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني:العلاقة بين الراعي و الرعية

الفصل الثاني

دور الدعاة العلاجي

في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

العلاج مأخوذ من مزاوله الشيء وممارسته؛ في سبيل الوصول إلى نتيجة مرغوبة يدفع به ضرر قد حل وتغير به المؤلف عن طبيعته، وقد يكون يحصل بهذا الضرر التلف. ويتطلب العلاج معاناة وجلد، وصبر وتصبر، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (العين واللام والجيم أصل صحيح يدلُّ على تمرُّسٍ ومزاولَةٍ، في جفاء وغلظ)^(١) وأورد ابن منظور في لسان العرب: (وعالج المريضَ مُعالِجَةً وعلاجاً عاناه والمُعالِجُ المُداوي سواء عالجَ جريحاً أو غليلاً أو دابةً)^(٢) ومن هذا المعنى نعلم أن العلاج مرتبط بوجود مرض ودواء ومريض وطبيب، والأمراض قسمان: أمراض بدنية وأمراض قلبية، فإن العلاج من المرض يستلزم علماً وخبرة ووقتاً في مخالطة الدواء للداء، حتى يحصل التأثير بمشيئة الله، ويشمر بالشفاء، ومادة الدواء محسوسة ومعنوية في الأمراض البدنية، وطريقة العلاج مرئية أو مسموعة، ففي العسل شفاء و فاتحة الكتاب رقية ومن القرآن شفاء، أما أمراض القلوب المعنوية فإن علاجها مسلّم إلى صفوة من الناس عرفوا بالصلاح والتوفيق والرشد، قدوةم الأنبياء والمرسلين، يقول ابن القيم يرحمه الله في زاد المعاد: (فَأَمَّا طِبُّ الْقُلُوبِ فَمُسَلَّمٌ إِلَى الرَّسْلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِهِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَعَلَى أَيْدِيهِمْ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ الْقُلُوبِ أَنْ تَكُونَ عَارِفَةً بِرَبِّهَا وَفَاطِرِهَا، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَأَنْ تَكُونَ مُؤَثَّرَةً لِمَرْضَاتِهِ وَمُحَابَبِهِ، مُتَجَنِّبَةً لِمَنَاهِيهِ وَمَسَاحِطِهِ وَلَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ الْبَتَّةِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَلْقَائِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرَّسْلِ، وَمَا يُظَنُّ مِنْ حُصُولِ صِحَّةِ الْقَلْبِ بِدُونِ اتِّبَاعِهِمْ فَعَلَطٌ مِمَّنْ يَظُنُّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ حَيَاةَ نَفْسِهِ الْبَهِيمِيَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَصِحَّتُهَا وَقُوَّتُهَا، وَحَيَاةَ قَلْبِهِ وَصِحَّتُهُ وَقُوَّتُهُ عَنْ ذَلِكَ بِمَعْزِلٍ، وَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَلْيَبْكْ عَلَى حَيَاةِ قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَعَلَى نُورِهِ، فَإِنَّهُ مُنْغَمَسٌ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ)^(٣) وأمراض القلوب بين مرض شبهة وشك، وبين مرض شهوة وغى، وانحراف المحبة عن ميزان الاعتدال يدخل المرء دائرة أمراض القلوب، وكذلك أمراض الأبدان لها الأثر البالغ في حالة المرء الدينية والنفسية، والواجب العلاجي للدعاة إلى الله يظهر في مساعدة المبتلين وحثهم على الصبر ليكونوا من

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٤، ص:

١٢١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (علاج).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد الهادي الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧

هـ، ج ٤، ص: ٧ - ٨.

الصابرين الشاكرين، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً أمسك عنه بذنبه؛ حتى يوافي به يوم القيامة، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)^(١) وللدعاة إلى الله دور في علاج آثار الابتلاء وانحراف المحبة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وهو ما أبينه هنا في هذا الفصل وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي، كما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية في علاقة الصداقة و علاقة الجيرة

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية في علاقة الزوجين و علاقة القرابة

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية في علاقة العمل الداخلية و الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية^(٢) في العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الصبر على البلاء حديث رقم: ٢٣٩٦ (٤/٦٠١). حسنه الألباني.

(٢) علاقة (الحاكم والمحكوم و الرئيس و المرؤوس)

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الصداقة

تقوم الصداقة بين الصديقين أو الأصدقاء على مبادئ اجتمعوا عليها محبة بينهم، وهذه المحبة في الإسلام يجب أن تقوم على مبادئ الإسلام، وأعظمها عقيدة التوحيد، والقيام بفرائض الدين من الصلاة والزكاة والصيام والحج، والتخلق بأخلاق الإسلام من الالتزام بالخير والصدق والإحسان، ومن البعد عن الشر والفواحش والحرمات، لارتباط المصير بها في الدنيا والدين، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۖ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَمَدِينُونَ ۚ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ ۚ فَأُطْلِعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۚ قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ۚ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۚ أَفَمَا نَحْنُ بِمَعِينِينَ ۚ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۚ) إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول المؤمن مخاطباً للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعته. { وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } أي: ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيدهِ)^(٢) وأورد يرحمه الله أن هذه الصحبة كانت بين مشرك ينكر البعث ومؤمن بالله واليوم الآخر (عن ابن عباس: هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا) ومن هذه الآية نعلم أن الانحراف العقدي في محبة الأصدقاء، بعضهم لبعض، أخطر من غيره، فمن واجب الدعاة بيان أثر المحبة في انحراف علاقة الصداقة، من حيث تشخيص نوع الانحراف، أعقدي؟ أم عبادي؟ أم خلقي؟ أم سلوكي؟ وبيان الضرر الناتج عن هذه الصداقة حين استمرارها على انحراف. ويتأكد دور الدعاة إلى الله في بيان هذا الخطر في علاقات الأصدقاء في هذا الزمان عن غيره؛ لانفتاح وسائل الاتصال في العالم وكثرة الصداقات، مع تعدد الأديان والمذاهب الفكرية المنحرفة، وضعف المسلمين، وظهور التقصير في أداء العبادات، وبروز مظاهر أخلاقية وسلوكية تنافي قيم الإسلام.

(١) سورة الصافات: ٥٠ - ٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٦.

ثانيا: الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الصداقة

هل يمكن للعلاقة مع العدو أن تنقلب إلى ولاء وصلة حميمة قوية ؟ نعم. حين تقابل الإساءة بالإحسان مع عقلاء الناس وشرفائهم، وهذا مع الأعداء، فكيف مع الأصدقاء ؟ فإن أثرها أقوى. وقد أوصى الله تعالى بذلك في كتابه، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) أي: فرق عظيم بين هذه وهذه، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وقوله: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك)^(٢) وعندما يُشخّصُ الدعاة إلى الله نوع الانحراف في علاقة الصداقة، لا ينفك عنه وضع الخطة العلاجية لكل نوع حسب مظاهره وضرره، ولا يتعدى العلاج خمس درجات ضمن الخطة التي تشمل الوقت المناسب وحسن الأسلوب:

(١) البيان غير المباشر الذي يفهم منه المقصود في تصحيح الخطأ.

(٢) البيان المباشر للصواب من الخطأ وفق الأدلة الشرعية.

(٣) النصيحة بالحسنى قولاً وعملاً.

(٤) الهجر والعتاب وفتح باب المناقشة في الأسباب والنتائج.

(٥) الترك المبني على الدليل الشرعي والعقلي والمشروط بالوصل عند زوال موانع الترك. قال أبو الطيب الأبادي: ((أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ)^(٣): أَيُّ لَأَجَلِهِ لَا لِعَرَضٍ آخَرَ كَمَيْلٍ وَإِحْسَانٍ. وَمِنْ لَازِمِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ حُبُّ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَمِنْ شَرْطِ مَحَبَّتِهِمْ اقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ وَطَاعَتُهُمْ (وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ): أَيُّ لَأَمْرِ يَسُوءُ لَهُ الْبُغْضُ كَالْفَسَقَةِ وَالظُّلْمَةِ وَأَرْبَابِ الْمَعَاصِي. قَالَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السُّنَنِ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ أَعْدَاءٌ يُبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ، كَمَا يَكُونُ لَهُ أَصْدِقَاءٌ يُحِبُّهُمْ فِي اللَّهِ، بَيَانُهُ أَنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ مُطِيعٌ لِلَّهِ وَمَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ عَصَاهُ فَلَا بُدَّ أَنْ تُبْغِضَهُ لِأَنَّهُ عَاصٍ لِلَّهِ وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبَّ لِسَبَبٍ فَبِالضَّرُورَةِ يُبْغِضُ لَصِدِّهِ، وَهَذَانِ وَصَفَانِ مُتِلَازِمَانِ لَا يَنْفَصِلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَهُوَ مُطَرَّدٌ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ

(١) سورة فصلت: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٨١.

(٣) سبق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

فِي الْعَادَاتِ انْتَهَى. وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْمُوَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (انْتَهَى).^(١)

وتتأكد هذه الخطوات بضرب الأمثلة وبيان الأدلة في أنواع الصداقة وعناصرها ومواطن الانحراف فيها، وهذا هو منهج السلف الصالح، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ »^(٢).

ثانيا: علاقة الجيرة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الجيرة

أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار وأوصى به، والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب، له حق الإسلام والقرباة والجيرة، وجار مسلم، له حق الإسلام والجيرة، وجار غير مسلم، فله حق الجيرة من الإحسان ودفع الغربة ودعوته للإسلام بالحسنى. عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَمَنْ يَأْمَنْ جَارُهُ بِوَأَيْقَةٍ.^(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم: (البَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ وَهِيَ الْعَائِلَةُ وَالذَّاهِيَةُ وَالْفَتْكُ، وَفِي مَعْنَى " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ " جَوَابَانِ يَجْرِيَانِ فِي كُلِّ مَا أَشْبَهَ هَذَا. أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ يَسْتَحِلُّ الْإِيذَاءَ مَعَ عِلْمِهِ بِتَحْرِيمِهِ؛ فَهَذَا كَافِرٌ لَا يَدْخُلُهَا أَصْلًا. وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ جَرَاؤُهُ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا وَقَدْ دُخِلَ الْفَائِزِينَ إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُمْ، بَلْ يُؤَخَّرُ ثُمَّ قَدْ يُجَازَى، وَقَدْ يُعْفَى عَنْهُ فَيَدْخُلُهَا أَوَّلًا. وَإِنَّمَا تَأَوَّلْنَا هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ أَوَّلًا، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٤) فإن دفع الشرور والغوائل عن الجار من الواجبات الشرعية الاجتماعية، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان وتشخيص أنواع الانحراف في علاقة الجيرة والتي تقطع المحبة والإحسان بينهم، وهذه الأنواع متعلقة بأصول الجيرة من المحافظة على كامل الحقوق، وأهمها:

(١) حق المكان. فلا يعتدى على ملكه ولا يضايق في مدخله ومخرجه.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة: المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٨٨هـ ، ج ٩ ، ص: ١٨١٤ .

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦١٥ (٣٣٥/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٦٣٩ (٤٥٦/٦). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إثم مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَةٍ، حديث رقم: ٦٠١٦ (١٠/٨).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ ، ج ٢ ، ص: ١٧ .

- ٢) حق المتاع والمال. فلا يُعتدى على ماله ومتاعه.
- ٣) حق الأهل والعرض. فلا تنتهك حرمة أهله وعرضه بقول أو فعل.
- ٤) حق البصر والسمع. فيمنع من كشف ستر بيته و عورته بالنظر أو التصنت أو التجسس، ما لم توجد قرينة سوء حكم بها الوالي ليدفع الشر عن الناس .
- ٥) حق الطعام والشراب. فلا يبيت في شبع وجاره يبيت طاويا.
- ٦) حق الراحة في المبيت والسكن. فلا يقدم على ما يزعج جاره في سكنه أو يقلق مبيته.
- ٧) حق المؤانسة والمواساة. فيشاركه أفراحه وأحزانه.

وهذه الحقوق وغيرها يجب على الدعاة إلى الله بيان أمرها مجملا ومفصلا في عموم حق المسلم على المسلم ، وفي الحق الجار خصوصا لتحقيق السلامة في علاقة الجار لجاره وينعما بعلاقة تقوم على المحبة وحسن الجيرة، مبدؤها الإحسان ومنتهاها الحسنى. قال الله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ^(١) قال البغوي في تفسيره: (قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم) ^(٢)

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الجيرة

إن علاقة الجيرة يقل الانحراف فيها نسبيا عن غيرها؛ لجمع المكان بينهما في صورة شبه دائمة، فيحرص كل من الجارين على مصالح الآخر، وحفظ الاحترام والتقدير أو الود المتبادل بينهما، ومن دور الدعاة إلى الله بيان الخطة العلاجية لمن ساءت العلاقة بينه وبين جاره في خمس خطوات:

الأولى: محاولة رَأْب الصدع في العلاقة بدفع السيئة بالحسنة و الاستمرار في هذا لأسلوب. قال الله تعالى: (أَدْفَعْ بِأَلَيْ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٦٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٦٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) ^(٣)

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٤، ص: ١٣٠.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٦ - ٩٨

الثانية: الاستعانة بأحكام الجيران وأعقلهم ليكون طرفا ثالثا في حل الخلاف والنصح بحسن الجيرة، قال الله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

الثالثة: الصبر وكف الشر من طرفه، وعدم مبادلة الإساءة بالإساءة، مع اتباع السنة في معاملة الجار لجاره، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ « أَذْهَبَ فَاصْبِرْ ». فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ « أَذْهَبَ فَاطْرَحَ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ». فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَقَعْلَ وَقَعْلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ (٢).

الرابعة: الاستعانة بالقضاء في دفع السوء ورد الحقوق. وقبلها الدعاء للجار بالهداية والصالح والاستعاذة من جار السوء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ فَإِنْ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلَ عَنْكَ) (٣).

الخامسة: تبديل الدار مع إكرام الجار والنصح له، محافظة على أمر الدين بحسن الجوار وعدم أذية الجار.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: العلاقة الزوجية وعلاقة القرابة

أولاً: علاقة الزوجين

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الزوجين

العلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على الحب والمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف ولكل منهما حق على الآخر بحسب الدور الذي يقوم به شرعا، وبحسب خصائصه الخلقية والوظيفية، فللزوج من الزوجة المتعة الحلال والطاعة بالمعروف، وللزوجة من الزوج المهر (الصداق) والنفقة والمتعة. ويجب عليهما التعاون فيما بينهما على العبادة وتربية الأولاد التربية الصالحة والقيام بدورهما في رعاية المنزل والبناء الاجتماعي الصالح وحين يتعذر الحب وهو أمر نسبي في البشر ولا يستقر؛ فإن العفو والإنسانية والمعروف لا تتعثر. فلا بد من الصبر والتصبر والخير في هجران الإساءة والشر. قال الله تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤) ومن دور الدعاة إلى الله تشخيص المشاكل الزوجية التي تضطرب بها علاقة الزوجين، وتتفرع هذه المشاكل من أصول العلاقة القائمة على الحب والمودة والرحمة، حين تبدل بهضم الحقوق الواجبة بينهما، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ؟

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في حق الجوار، حديث رقم: ٥١٥٥ (٤/٥٠٤). حسنه الألباني.

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب الاستعاذة - باب الاستعاذة من جار السوء، حديث رقم: ٥٥١٧ (٨/٦٦٧). حسنه الألباني.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٧.

قَالَ: أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا يَقْبَحَ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ^(١). وإذا لم تشخص المشاكل و تعالج من بدئها؛ فسوف تنمو منها الكراهة بعد الحب وتظهر في أمرين: سوء العشرة والقصور في أداء الحقوق الشرعية، مما يؤدي إلى الطلاق وجاء به الإسلام كعلاج لكف سوء العلاقة بينهما في تدرج وعلى ثلاث مراحل، طلقان متفرقتان ثم ثلاثة تبين بها بينونة كبرى، ومن ثم لا رجعة إلا بعد نكاح من زوج آخر يطلق طلاقاً معتاداً غير متحايلاً به، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جَاءَتْ امْرَأَةً رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتْ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الزَّيْبِرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفَاعَةَ. لَا. حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ^(٢). وفي تشخيص حالة علاقة الزوجين لابد من إفهام الزوجين أن الحق يسلترم البيان الواضح، ولا حياء في السؤال عن أمر الدين، فيما يوجب الطهر والعفاف والصالح.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الزوجين

العلاقة بين الزوجين من أهم العلاقات، حيث يبنى عليها المجتمع، ومنها تبني شخصية الفرد، ومن الواجب المحافظة عليها في بناء سليم ومحبة، وقوة وتماسك ومودة، ولكل أسرة وضع خاص بها، في التكوين والمعاش والعدد، ووضع عام في الحقوق والواجبات وأنظمة المجتمعات، ومن دور الدعاة إلى الله بيان الخطة العلاجية لانحراف العلاقة بين الزوجين مع اعتبار النظر في الجانبين الخاص والعام، وتحديد الجزء المسبب للمشكلة وفق التصنيف الأسري: الزوج أم الزوجة؟ الأبناء أم الأقارب؟ أم أمور خارجة عن إطار الأسرة؟ ومن بعد تحديد السبب أو الأسباب يجب تحديد العلاج وفق خطة واضحة ومن أهمها:

١) التأكيد على مخافة الله في أداء الحقوق والواجبات بين الزوجين، ومراعاة غايات الزواج وأهدافه. والتعاون بين أهل البيت الواحد في لم الشمل، ورأب الصدع، ولو فيه حمالة غير مرغوبة على النفس، ومن ذلك التعاون بين الضرائر، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسْلَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ. قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرَتْ جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لِعَائِشَةَ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ: يَوْمَهَا، وَيَوْمَ سَوْدَةَ^(٣).

(١) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب النكاح- باب حق المرأة على الزوج، حديث رقم: ١٨٥٠ (٥٦/٣). صححه الألباني.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الشهادات- باب شهادة المختبي، حديث رقم: ٢٦٣٩ (١٦٨/٣). وانظر صحيح مسلم- كتاب

النكاح- باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها، حديث رقم: ٣٥٩٩ (١٥٤/٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب الرضاع- باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم: ٣٧٠٢ (١٧٤/٤).

(٢) بيان أساليب الرحمة والمحبة التي ينبغي للزوج أن يتبعها في العطف على أهله، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) ^(١). ومن أساليب الرحمة ألا تطلب الزوجة من زوجها ما لا يستطيع وعلى الزوج الصبر على مطالب النساء ومعاشرتهن بالمعروف أو التسريح بإحسان: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بَبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ جَالِسًا، حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لِأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجأتُ عَنْقَهَا، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا. كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلُنَ رَسُولَ اللَّهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَقُلْنَا: وَاللَّهِ! لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اغْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعَشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ} — حَتَّى بَلَغَ {لِلْمُحْسَنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا} قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ» قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ. قَالَتْ: أَفِيكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «لَا تَسْأَلَنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْزِني مُعْنَةً وَلَا مُتَعْنَةً، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا» ^(٢).

٣) بيان وسائل حسن تبعل المرأة لزوجها من التجميل والتحمل:

وهذا الأمر لا يخفى على أحد أهميته ووسائله وأساليبه، ولكن قد يغفل البعض من النساء والرجال عنه بسبب مشاغل الحياة الأولية من طلب الرزق ورعاية البيت والأبناء، أو الانشغال بمواقف الحياة المتعددة التي تصرف المرء عن الاهتمام بنفسه أحياناً؛ ولذا وجب على الدعاة التبصير والبيان في أمر الجمال والتجميل بين الزوجين بعضهما لبعض، والصبر على أمور الحياة وعلى بعضهما البعض، فإن لكل مجتمع طبيعته وعاداته وتقاليده، ولكل أسرة ظروفها الخاصة. ومن الركائز الهامة في الجمال: الطهارة المعنوية والمادية بالنظافة في البدن والثوب والمكان، وحسن المعاملة باختيار الكلمات المناسبة للمواقف، والابتسامة وحسن الحيا والأخلاق الحسنة. ومن الركائز الهامة في الصبر: التفاؤل وعدم اليأس، والعمل على إزالة العقبات بحكمة. وللدعاة إلى الله معين وافر من مواقف السلف الصالح كشواهد واستنباط الدروس والعبر ومن هذه المواقف مثلاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أَحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ؛

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب حسن معاشره النساء، حديث رقم: ١٩٧٧ (١٤٧/٣). صححه الألباني.

(٢) انظر صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية حديث رقم: ٣٧٦٣ (١٨٧/٤).

لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ^(١) وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَنْطِفَ حَقِّي عَلَيْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) ^(٢). وعن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة و يخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني و انقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) ^(٣) قال: و زوجها أوس بن الصامت. ^(٤).

٤) بيان الوسائل الشرعية في التأديب عند اضطراب العلاقة بين الزوجين ومنها ما خص الله به الزوج من القوامة ، قال الله عز وجل : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) ^(٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْتِهِنَّ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) ^(٥) والضرب في هذه الوسائل العمل به ليس على إطلاقه وليس لكل امرأة، بل يكون لنوع خاص من النساء و عند ترجح الفائدة منه، وتقدير الحكم الشرعي المناط به وضبطه، بعدم التقيح وضرب الوجه أو ما يجرح أو يكسر أو يؤثر في البدن شوها - أي غير مبرح - قال ابن بطال: (وقال قتادة في قوله: (ضرباً غير مبرح) قال: يعني غير شائن، وقال الحسن: غير مؤثر) ^(٦) وكذلك عندما يكون في تجاوز المرأة إلى ما لا يحل، ويكون بعد الوعظ والهجر وفي حدود ضيقة، وبصورة محددة لا تفقد المحبة وتحفظ الكرامة وتوصل رسالة المحاسبة وتثبت حق القوامة.

٥) بيان أوجه الصلح والإحسان والتقوى بين الزوجين حال الاتفاق أو النفور أو الطلاق، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ^(٧) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُعَلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) ^(٨) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الطلاق - باب ما قالوا في قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة)، حديث رقم: ١٩٦٠٨ (٥/٢٧٢).

(٣) سورة المجادلة: ١.

(٤) انظر : سنن أبي داود - كتاب الطلاق - باب في الظهار ، حديث رقم : ٢٢١٦ (٢/٢٣٤). و انظر: صحيح الحاكم - كتاب التفسير - تفسير سورة المجادلة، حديث رقم: ٣٧٩١ (٢/٤٨٢). تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح. وحسنه الألباني .

(٥) سورة النساء: ٣٤.

(٦) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٧، ص: ٣٢٦.

سَعَتِهِ^١ وَكَانَ اللَّهُ حَكِيمًا وَاسِعًا^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبرا ومشروعاً عن حال الزوجين: تارة في حال نفور الرجل عن المرأة، وتارة في حال اتفاقه معها، وتارة في حال فراقه لها)^(٢) وبين يرحمه الله خمسة أمور هامة في حياة الزوجين من هذه الآيات:

أ) الظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك، خير من المفارقة، ولما كان الوفاق أحب إلى الله عز وجل من الفراق قال: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

ب) إن تتجشم مشقة الصبر على من تكرهون منهم، وتقسموا لمن أسوة أمثالهن، فإن الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

ج) إن الأزواج لن يستطيعوا المساواة بين زوجاتهم من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع وميل القلب. فإذا ملتم إلى واحدة منهم فلا تبالغوا في الميل بالكلية {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} أي: فتبقى هذه الأخرى مُعَلَّقة.

د) إن أصلحتهم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون، واتقيتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

هـ) في حالة الفراق، قد أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيهما عنها، ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه.

٦) بيان الحكمة في المعاملة بين الزوجين، بالبعد عن مواقف المواجهة الصعبة التي قد يتم بها تدمير العلاقة الزوجية في لحظات، واستبدال ذلك بالأساليب الحكيمة، ومنها الخروج عن المكان حال الغضب حيث هو من الحلول القوية في القضايا الأسرية: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «إِنْ كَانَتْ أَحَبُّ أَسْمَاءَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ لِأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَاءُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ: غَاظَبَ يَوْمًا فَاطِمَةُ، فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَتْبَعُهُ فَقَالَ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ - وَامْتَلَأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا - فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ»^(٣). ومنها أيضا بذل المعروف في صلاح البيت دون خدش للعلاقة الزوجية، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ هِنْدٌ

(١) سورة النساء: ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٤٢٦.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب التكي بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى حديث رقم: ٦٢٠٤ (٤٥/٨).

أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا قَالَ خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكَ مَا يَكْفِيكَ بِالْمَعْرُوفِ^(١).

(٧) عرض صور واقعية ممن يؤتسى بهم مع بيان الدروس والعبر، ومن أعظم الدروس حديث الإفك في شأن أم المؤمنين رضي الله عنها، والدروس منه لا يمكن تسجيلها هنا من كثرتها وعمق غايتها، واذكر طرفاً من دور الأبوين في حل المشاكل الزوجية يستأنس به: (من حديث الإفك: (فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ خَفْصِي عَلَيْكَ الشَّانَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً حَسَنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا حَسَدْنَهَا وَقِيلَ فِيهَا، وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي، قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَعْبَرْتُ وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ لَأُمِّي: مَا شَأْنُهَا قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَيُّ بُنَيَّةٍ إِلَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِكَ فَرَجَعْتُ^(٢)) ومن المواقف التي يؤتسى بها، ما أورد البخاري في باب ما يُكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، عن عائشة، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْخُلَوَاءَ وَيُحِبُّ الْعَسَلَ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ أَجَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي أَهْدَتْ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةَ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسُودَةَ قُلْتُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكَ فَقُولِي لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَا فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ تُوْجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ فَقُولِي لَهُ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ^(٣) وَسَأَقُولُ ذَلِكَ وَقَوْلِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سُودَةَ قُلْتُ تَقُولُ سُودَةُ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَدْتُ أَنْ أَبَادِرَهُ بِالَّذِي قُلْتُ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكَ فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ قَالَ: لَا قُلْتُ فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ قَالَ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ. قُلْتُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَدَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ قَالَتْ تَقُولُ سُودَةُ

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب البيوع- باب من جرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكيل والوزن وسنهم على نياهم ومذاهم المشهورة، حديث رقم: ٢٢١١ (٧٩/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب التفسير- سورة النور- باب قوله (الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، حديث رقم: ٤٧٥٦ (١٠٦/٦).

(٣) قال أهل اللغة: العرط من شجر العضا وهو كل شجر له شوك، وقيل رائحته كرائحة النبيذ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد منه رائحة كريهة. قولها (جرس نحل العرط) هو بالجيم والراء والسين المهملة أي أكلت العرط ليصير منه العسل. انظر المنهاج للنووي (٧٦١٠٦/١٠).

سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ قَالَتْ قُلْتُ لَهَا اسْكُتِي^(١). وهذا موقف آخر من السيرة النبوية، من بيت النبوة المليء بالدروس والعبر، في معالجة الزوج لمراجعات نسائه بالحل الجماعي العادل، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يحدث أنه قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبه له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك حاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبه لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فأسألي، فإن كان لي علم خبرتك به. قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولما هاهنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابتكت لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان. فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعنه. فقلت: تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ. يا بنية لا يعرّتك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها - يريد عائشة - قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه. فأخذتني والله أخذاً كسرني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه. فقلت رغم أنف حفصة وعائشة. فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرّجة فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب. فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلّى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرطاً مصبوراً، وعند

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحيل - باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر وما نزل على رسول الله ﷺ في ذلك، حديث رقم: ٥٢٦٨ (٧/٤٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، حديث رقم: ٣٧٥٢ (٤/١٨٥).

رأسه أهَبٌ مُعلَقَةٌ، فرأيتُ أثرَ الحَصِيرِ في جنبه فَبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكِيكَ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إِنَّ كِسْرَى وقِصَرَ فيما هما فيه، وأنتَ رسولُ الله، فقال: أما تَرْضَى أن تكونَ لهُم الدنيا ولنا الآخرة؟^(١).

٨) المشاركة العملية والقولية في العلاج الأسري من خلال المواقف الشخصية أو المشاركة مع الجهات المختصة في شأن الأسرة والزواج وإصلاح ذات البين، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لَحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ! وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَأَيْتَهُ! قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي. قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ. قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ)^(٢). قال ابن حجر في الفتح (ويؤخذ منه أن نظره ﷺ كان كله بحضور وفكر، وأن كل ما خالف العادة يتعجب منه، ويعتبر به، وفيه حسن أدب بريرة لأنها لم تفصح برد الشفاعة، وإنما قالت: لا حاجة لي فيه، وفيه أن فرط الحب يذهب الحياء لما ذكر من حال مغيث، وغلبة الوجد عليه حتى لم يستطع كتمان حبها، وفي ترك النكير عليه بيان جواز قبول عذر من كان في مثل حاله، ممن يقع منه ما لا يليق بمنصبه إذا وقع بغير اختياره، ويستنبط من هذا معذرة أهل المحبة في الله إذا حصل لهم الوجد من سماع ما يفهمون منه الإشارة إلى أحوالهم، حيث يظهر منهم ما لا يصدر عن اختيار من الرقص ونحوه، وفيه استحباب الإصلاح بين المتنافرين سواء كانا زوجين أم لا. وتأكيد الحرمة بين الزوجين إذا كان بينهما ولد)^(٣).

وبهذه الخطوات العلاجية يستطيع الدعاة إلى الله أداء واجبهم بتعزيز المحبة بين الأزواج في المجتمع والحفاظ على حسن المعاشرة وصدق المعاملة وعلاج كثير من مظاهر الخلاف بين الزوجين.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة التحريم - باب (لا تبغى مرضاة أزواجك) حديث رقم: ٤٩١٣ (١٥٦/٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الطلاق - باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ، حديث رقم: ٥٢٦٨ (٤٤/٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، بيروت: دار المعرفة ،

١٣٧٩ هـ. ج ٩، ص: ٤١٤.

ثانيا: علاقة القرابة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة القرابة

إن انحراف علاقة القرابة قد يؤدي إلى أعظم الجرائم، والقتل من أبشع صور الجرائم البشرية على الأرض، ننج كأول جريمة عليها في قرابة انحرفت المحبة فانحرفت العلاقة، غرر به الشيطان ابن آدم، من مدخل الحسد بين الأخوين، نزع المحبة منه وأبدلت بالكراهة، وكانا الحسد والقتل انحرافا بشعا في علاقة القرابة، قال الله تعالى: (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾) ومن دور الدعاة العلاجي تشخيص الانحراف في علاقة القرابة وبيان آثاره السيئة الموصلة للخسارة، وبهذا الدور تدوم المحبة بين الأقارب، وتطفأ نار العداوة، وتزبد الصلة بينهم، وليس الواصل بالمكافي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَتُهُ وَصَلَّاهَا. (٢). وتشخيص حالات الانحراف في علاقة القرابة يقتضي سبر أسباب عقوق الوالدين، وأسباب تفريط الأبوين في المسؤولية وضياع حقوق الأولاد، وأسباب قطيعة الرحم، وحين تعرض الأسباب، يمكن لكل مسؤول وقريب أن يدرك الخطأ الذي يوقعه في كبائر الذنوب، ويصححه بعلاج يبتدره، ويوصي به، ويتواصى عليه، وهو الحرص على بقاء المحبة الشرعية بين الأقارب، رمز التواصل، وسبيل من سبل دخول الجنة.

(٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة القرابة

إن من أعظم البلاء، ضلال وظلم من تحب، بل في أعظم محبوب فطري وهما الوالدان والأولاد، فإن المواجهة غير متكافئة، عندما تحب لهم ما يكرهون، ويكرهون ما تحب، تقدم لهم التوحيد والخير والهداية مع الحب، أفضل مطلوب، ويصرون على الشرك أو الكفر أو الغواية أو الظلم، أعظم مرهوب، قال الله عز وجل: (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتُبْتُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٦٢﴾ يَأْتُبْتُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٦٣﴾ يَأْتُبْتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٦٤﴾ يَأْتُبْتُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٦٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٦٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٦٧﴾ وَأَعِزَّنِي لَهُمْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٦٩﴾ وَأَعِزَّنِي لَهُمْ وَمَا تَدْعُوتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٧٠﴾) قال الشيخ السعدي في تفسيره: (

(١) سورة المائدة: ٢٧ - ٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب ليس الواصل بالمكافي، حديث رقم: ٥٩٩١ (٦/٨).

(٣) سورة مريم: ٤١ - ٤٨.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلية (١) هذه الجمل المستنبطة من دعوة إبراهيم لأبيه، رسمت الخطة العلاجية في دور الدعاة العلاجي في بيان انحراف علاقة القرابة في أعظم شؤونها وهو العقيدة، وما دونه من انحراف أحق بهذه الأساليب العلاجية، وهذا هو سبيل النبي ﷺ في دعوته مع أقاربه، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢) دعا إبراهيم أباه بلفظ القرابة، حين قال (يا أبت) ويكررها رجاء استدرار العاطفة، وهكذا دعا النبي ﷺ قومه باسم القرابة ليعث في نفوسهم حق القرابة ويستجيبوا لدعوته وألا يكون غيرهم أولى بنصرته، وأولى بالنصرة القرابة، وقرابته قريش، عن ابن عباس، رضي الله عنهما {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} قَالَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ فَتَزَلَّتْ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَصْلُوا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. (٣). وعن عمرو بن العاص، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: (إِنَّ آلَ أَبِي (٤) لَيَسُوا بِأَوْلِيَائِي إِنَّمَا وَلِيِّ اللَّهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ (وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبْلَهَا بِلَاهَا يَعْنِي أَصْلَهَا بِصِلَتِهَا) (٥) (٦). فمن واجب الدعاة إلى الله في معالجة انحراف علاقة القرابة، حث الأبناء على بر الوالدين وبيان أوجه البر والطاعة والأجر في ذلك، وتبصير الآباء والأمهات بحقوق الأبناء وأساليب التربية والتعامل معهم وفق أعمارهم ومداركهم العقلية، وحث الأقارب على الصلة والإحسان وبيان فضلها والحث على ترك القطيعة والعدوان، والصبر على الأذى النفسي في سبيل صلة الأرحام، عن أبي هريرة ؓ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ «لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ» (٧) وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٨). ويكفي ما في السنة النبوية من دروس وتوجيهات في حل كل المشكلات بالحلول الإيمانية والعملية، عن أبي هريرة ؓ، قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا. فَقَالَ لَهَا: «مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ» فَرَجَعَتْ. فَأَتَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: «الَّذِي سَأَلْتَ أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَوْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ؟» فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ: قَوْلِي: لَا. بَلْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. فَقَالَتْ: فَقَالَ: «قَوْلِي:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٤٩٤.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب المناقب-، حديث رقم: ٣٤٩٧ (٤/١٧٨).

(٤) زيادة: قَالَ عَمْرُو فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ (بَيَاضٌ) وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ.

(٥) زيادة عُبَيْسَةَ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ بِيَانِ قَيْسِ الَّذِي رَوَى عَنْ عَمْرٍو.

(٦) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب يبل الرحم ببلالها، حديث رقم: ٥٩٩٠ (٦/٨).

(٧) (مل) الميم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تقليب شيء، والآخر على غرض من الشيء. فالأول ملئت الخبزة في النار أمْلُهَا مَلًّا، وذلك تقليب إياها فيها. والملة: الرماد أو التراب الحار. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٧٥).

(٨) انظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٦٦٨٩ (٨/٨).

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ. مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. أَفْضِلْ عَلَيْنَا الْدِّينَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١). وهذا درس آخر في علاج محبة الوالد لولده، وذلك بتسليية المصاب بفقد الولد بماله من الأجر: عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له فقال له النبي ﷺ: «أَتُحِبُّهُ؟» فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه ففقدته النبي ﷺ فقال لي: «ما فعل ابنُ فلان؟» قالوا: يا رسول الله مات فقال النبي ﷺ لأبيه: «أما تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدَتْهُ يَنْتَظِرُكَ» فقال الرجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»^(٢).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

أولاً: علاقة العمل الداخلية

١) تشخيص الانحراف للمحبة في علاقة العمل الداخلية

إن علاقات العمل الداخلية بين العاملين محور نجاح العمل، والمحبة عامل هام ومؤثر فيها، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان هذا العامل وأثره في نجاح العمل، كي يستفيد العاملون أولاً ومن ثم رؤساء الأقسام ومديرو الدوائر الإدارية والتشغيلية، ومن ذلك تشخيص الانحراف في علاقة العمل وأثر المحبة في ذلك، وهذا التشخيص يبرز في زوايا الأعمال من عدة وجوه أهمها:

١) التنافس بين العاملين: حين تزرع روح التنافس الشريف بين العاملين في كل مجال أو عمل حسب الأنظمة السائدة في تلك الدائرة؛ فإن العمل يأخذ طابع الحيوية والنشاط، وترتبط بين العامل والعمل محبة جذب يزداد بها الإنتاج ويحس العامل بالمتعة في الأداء، ومن الواجب ألا يتحول التنافس في العمل إلى حسد بين العاملين، فيخرج عن المقاصد الحسنة إلى مقاصد تولد العداوة والبغضاء، وتضعف الإنتاج وتقضي على المحبة، وهذا الانحراف في حب الذات يؤدي إلى انحراف في علاقات العاملين.

٢) توزيع الأجور والخوافز والمكافآت: عندما يشعر جميع العاملين بالعدل في استحقاق الأجر المناسب لأداء العمل وزمنه، فإن المحبة تسود العلاقات الداخلية بين العاملين، وكذلك في صرف الخوافز والمكافآت، ولكن عندما يشعر العاملون بالظلم في الأجر سواء في معادلته لطبيعة العمل أو تأخيرها عن وقته أو تكليفهم بجهد يتعارض مع طاقتهم البدنية أو العقلية أو النفسية أو الزمنية؛ فإن ذلك يؤدي لانحراف في علاقتهم مع

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الدعاء - باب دعاء رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٨٣١ (٧/٥). صححه الألباني.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين رضي الله عنهم حديث رقم: ١٥٥٩٥ (٣٦١/٢٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

طبيعة العمل ومع أهل السلطة فيه، ولسوف يقضي على المحبة، ويولد الإضراب عن العمل والمطالبة بالحقوق الذي يسفر عن خلل في النظام العام للمجتمع.

٣) العلاقات مع الرؤساء والمديرين في الدائرة: إن عيون العاملين التي ترقب العمل وتقوم عليه؛ ترقب هي والقلوب، رؤساء الأقسام ومديري العمل وأصحاب السلطة في الدائرة، تنظر إلى الداخل والخارج من مقرهم، وترقب الأوامر الصادرة بحقهم ومنهم وإليهم، والصلات الناتجة عن ذلك، من يقدمون؟ ومن يؤخرون؟ ومن كسب محبتهم؟ وما دواعي هذه المحبة؟ وما نتائجها؟ لذا يجب أن يرى الجميع أن مصلحة العمل مقدمة على أي مصالح أخرى داخل الدائرة، ويلمسون ذلك في واقع التنفيذ قولاً وعملاً، أما إذا وجدت أن الأفعال تخالف الأقوال والأنظمة، ومصالح العلاقات الخاصة تفرض التقديم والتأخير، فإن المحبة الحميدة للعمل ورؤسائه ومديره سوف تنحرف إلى كراهة، وحقيقة محبتهم القائمة على مصالح تضر الآخرين هي محبة ذميمة ومذمومة.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية

العمل الجماعي الذي تتشكل منه علاقة العمل الداخلية، لا يخلو من وجود انحراف ومشاكل تخص العمل والعاملين، ومنه تضعف محبة العاملين للعمل وتضعف العلاقات بينهم، وحين القيام بالعلاج فإن ذلك يتطلب المشاركة من الجميع على مستوى الإدارة وأصحاب القرار أو على مستوى العاملين، حيث المحبة والقوة طبيعة العمل، ويكون العامل المشارك في العلاج قد أدى واجبه، فيما يرضي ربه وضميره تجاه التصحيح، ويوصل إلى طريق النجاح والنجاة، قال الله تعالى: (وَسَلِّمْهُمْ عَنِ الْفَرِيقِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً آَلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ أَخْلَفْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾) قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: (فالمعنى: أن صلحاء القوم كانوا فريقين، فريق منهم أيس من نجاح الموعدة وتحقق حلول الوعيد بالقوم، لتوغلهم في المعاصي، وفريق لم ينقطع رجائهم من حصول أثر الموعدة بزيادة التكرار، فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعدة، واعتذر الفريق الثاني بقولهم: {مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن، والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعاً بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط، ليكون لهم عذرا عند الله أن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعدة، ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعدة) (٢) والخطة العلاجية

(١) سورة الأعراف: ١٦٣-١٦٥.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٣٣٢.

لانحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية يجب انطلاقتها من أربع طرق:

الطريقة الأولى: القضاء على مصادر الحيلة في العمل بوضوح لوائح وأنظمة العمل للجميع وضبطها.

الطريقة الثانية: تشكيل لجان المتابعة المختصة بشأن الإصلاح والتأديب.

الطريقة الثالثة: القرار الحازم العادل في مكافأة المخلصين ومحاسبة المقصرين.

الطريقة الرابعة: المطالبة بالحقوق وفق أنظمة المجتمع العامة وعدم الاقتصار على نظام العمل الخاص .

ودور الدعاة إلى الله في علاج انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية يكون ببيان هذه الطرق للناس وأهل الأعمال خاصة، وإيضاح أهمية المحبة بين العاملين وأداء الحقوق والواجبات المتعلقة بمصادر الرزق الخاص للعاملين والمتعلقة باقتصاد المجتمع العام. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسَلِّمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بِوَأَثْقُهُ، قَالُوا: وَمَا بِوَأَثْقِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيَنْفِقَ مِنْهُ فَيَبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ^(١).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حديث رقم: ٣٦٧٢ (١٨٩/٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

ثانياً: علاقة العمل الخارجية

(١) تشخيص الانحراف في علاقة العمل الخارجية

أصبحت الدراسات الاقتصادية تعنى بعلاقة العمل الخارجية، عناية فائقة؛ لأنها أصبحت تمثل الدور الأول في سقف توزيع الإنتاج، حيث تمثل العلاقة الخارجية علاقة مع جمهور الناس، وتمثل علاقة العاملين مع بعضهم البعض خلال القيام بمصالح العمل خارج مقره، وهنا تمثل المحبة عامل جذب للمنتجات فيقبل الناس على ما يحبون منها، ويتركون ما لا يرغبون، وقد يتركونها بغضه فيها لسوء المعاملة في العرض أو البيع أو الشراء، وتمثل المحبة عامل بناء في علاقات العاملين المختصين بالعرض أو البيع أو الشراء، أورد ابن رجب الحنبلي: (قال الفضيل بن عياض: الحبُّ أفضلُ من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يُحبُّك، والآخر يخافك، فالذي يُحبُّك منهما ينصِّحُك شاهداً كنت أو غائباً لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصِّحَك إذا شهدتَ لما يخاف، ويغشك إذا غبتَ ولا ينصِّحُك)^(١) ومن دور الدعاة إلى الله تشخيص انحراف المحبة ضمن علاقة العمل الخارجية من عدة وجوه أهمها:

الوجه الأول: حقيقة الدعاية والإعلان للمنتجات ومحبة الناس للمصادقية فيها. فإن الوسيلة الإعلانية المباشرة أو غير المباشرة، يجب أن تتسم بعرض الواقع للمنتج وصفاته وثمرته دون غرر أو كتمان ضرر، ويجب أن تلزم ضوابط الشريعة من الأوامر والنواهي في طريقة العرض.

الوجه الثاني: الصفات الشخصية لمندوبي العرض والبيع والشراء، وهذه الصفات يجب ألا تخرج عن صفات المسلم في الهيئة والخلق حيث هي حقيقة المحبة في الصفات الذاتية وما عداها يمثل انحراف وإن جعلت له مبررات اقتصادية أو اعتبارات شخصية.

الوجه الثالث: طبيعة العلاقات المباشرة مع جمهور الناس وزملاء العمل، ويمثلها الصدق وحسن الخلق. وعليهما تقوم الثقة والمحبة.

(٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية

إن مسألة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، مسألة اقتصادية اجتماعية يحكمها نظام المجتمع الاقتصادي في العرض والطلب^(٢)، والمحبة عامل هام في تكوين علاقات العمل الخارجية حيث يتحقق بها النجاح على

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٧-٧٨.

(٢) الليبرالية الاقتصادية هي (الرأسمالية) بوجهتها الانتهازية وطبيعتها اليهودية، تقوم منذ وضع أسسها (آدم سميث ١٧٢٣ م - ١٧٩٠ م) على المصلحة الخاصة أو (الأثنية)، فهي المحرك الوحيد للنشاط الإنساني، وهي تقوم على أساس منطق ألا يوضع أمام المصلحة أي قيد، وهو ما عبر عنه المؤسس بقوله: (دعه يعمل، دعه يمر) فالإقتصاد لا ينظمه حسب النظام الرأسمالي إلا قانون العرض والطلب وقوانين الطبيعة البشرية، دون أي قيود أو ضوابط.

المستويين الاقتصادي والاجتماعي، وإن فقدان المحبة أو ضعفها يمثل انخفاض في المستوى الاقتصادي وتفكك في المستوى الاجتماعي، وعلاج هذا الانحراف يستلزم خطة شاملة على مستوى النظام العام يختص بتعديل الانحراف وتصحيح الأهداف، ومن دور الدعاة إلى الله العلاجي المشاركة في هذه الخطة على عدة مستويات:

المستوى الأول: المشاركة في وضع الأنظمة الضابطة لأساليب الدعاية والإعلان التي تلزم أصحابها بالمصادقية وتنفيذ أوامر الشريعة في العرض حين تقديم المنتجات للناس.

المستوى الثاني: المشاركة في تبصير مندوبي العرض والبيع والشراء بأحكام الشريعة في صفات المسلم الذاتية الخلقية والسلوكية.

المستوى الثالث: المشاركة في إقامة الدورات التدريبية والندوات الثقافية والبحوث العلمية الخاصة بعلاقات الاتصال، ضمن تعاليم الإسلام وأخلاقه، وبما يحقق مقاصد الشريعة في الدنيا والدين.

ومن المعلوم أن المجتمع يحكمه علميا ما يسمى الضمير الجمعي في الدراسات الاجتماعية، وبالتركيز عليه يمكن التغيير في معالجة الانحرافات الاجتماعية ومنها المحبة في علاقات العمل، وحقيقة هذا الضمير أنه ركيزة اجتماعية في كل جماعة حسب صبغتها النظامية (يعتقد (دور كايم) أنه يوجد في كل جماعة، وفي كل دور من أدوار التاريخ، ما يسمى (الضمير الاجتماعي) الذي يرجع تكوينه إلى أصول شتى، بعضها من لوازم الحياة الاجتماعية دائما، وبعضها إلى حد ما يعتبر نافعا للجماعة في بعض الأوقات من أدوار ترقيقها؛ والبعض الآخر عارض وقتي وليس له أدنى استقرار، وعلى هذا الضمير تخضع الجماعة أفرادها لنمط من التربية الأخلاقية، تختاره تارة لهم، وأحيانا بطريقة لاشعورية، وأحيانا بعد البحث والتروي. ومن هنا تنشأ في نفس كل فرد طائفة من الالتزامات الحتمية التي لا يمكن أن يتملص من ربقتها إلا بنوع من انتهاك الحرمات^(١)

(١) الأخلاق في الفلسفة الحديثة، أندريه كرسون، ترجمة: د. عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري، مصر: دار الكتب الحديثة، ص: ١٣٤.

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

أولاً: العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

(١) تشخيص انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

السمع والطاعة في المعروف حق الحاكم على المحكوم وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة حق المحكوم على الحاكم، ضمن أطر النظام المحكم، وشرعية الله من القرآن والسنة هي الواجب تحكيمها في المجتمع المسلم. فمن دور الدعاة إلى الله تشخيص انحراف المحبة في علاقة الحاكم والمحكوم لأنه لا يمكن الاستمرار في العلاقة بينهما دون المحبة، وإن استمرت العلاقة زمناً، فسوف تدعو الكراهة ويدعو الظلم والجور إلى قطعها ونشوب الفتن والاضطرابات، وتشخيص الانحراف هنا مرتبط بمدى تحقيق الغايات والأهداف من العلاقة بين الراعي والرعية على مستوى جميع المسؤوليات، من ولاية الرجل والمرأة في بيتهما إلى الولاية العظمى في المجتمع، ويخل بهذه العلاقة غالباً عنصر متربص من الداخل أو الخارج يفتنهم بهواه أو بهوي غيره ليحصل التزاع وتحل الفرقة، ويظهر هذا المعنى في قصص القرآن والسنة، وأحداث الأمم السابقة، وأحداث التاريخ الإسلامي، قال الله تعالى عن خطاب موسى لأخيه هارون عند فتنة السامري لبني إسرائيل وعبادتهم للعجل من دون الله: (قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعُ ۚ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ) قَالَ يَبْتَئِمُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ۚ) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۚ)^(١) الفتنة بيت الضلال، والهوى عمادها، والفرقة تنبت من العصيان ومخالفة ذوي السلطان والجماعة، وحينها يعم الفساد والانشقاق، وأسباب الشقاق فساد العقيدة وضلال الفكر، ولا يعصم من ذلك إلا اتباع المرسلين والعلماء المخلصين قال الله تعالى لنبيه بعد قصة موسى وقومه: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۚ) مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا)^(٢) قال الإمام الطبري في تفسيره: (قول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعابنها، وقوله (وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا) يقول تعالى ذكره لحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرًا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين، وقوله (مَن أَعْرَضَ عَنْهُ) يقول تعالى ذكره: من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا) يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملاً ثقيلاً وذلك الإثم

(١) سورة طه: ٩١ - ٩٦.

(٢) سورة طه: ٩٩ - ١٠٠.

العظيم^(١) المحبة في معناها العادل بين الحاكم والمحكوم تقوم عندما يؤدي كل مسؤول ما وكل إليه من مسؤوليته، وفي كتاب الله تعالى والسنة النبوية البيان الحق الواضح في توزيع المسؤوليات والحقوق والواجبات، وأي إخلال بها هو إخلال بميزان المحبة العادل.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أمانة من الطرفين في أداء المسؤوليات، والعدل في حق الحاكم أخص، لأنه مرجع لكل خصومة ومصدر في إحقاق الحق، قال الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)^(٢) قال القرطبي في تفسيره: (هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين و الشرع)^(٣) ومن دور الدعاة إلى الله في بيان تثبيت المحبة بين الراعي والرعية، ووضع الخطة العلاجية لانحراف المحبة بينهم، أن يركزوا على ثلاثة أمور، هي:

الأمر الأول: النصيحة المستمرة لكل مسؤول بأداء أمانته، من الإمام الأعظم القائم على شؤون المسلمين ووزرائه وأعوانه إلى الحارس في حراسته، والخادم في مال سيده وكل عامل في عمله. ويكون ذلك من وازع المحبة، وزرعا لها بين الحاكم والمحكوم. وعلى الناصح أن يفقه أسلوب النصيحة ومقام المنصوح وأثر النصيحة فليست النصيحة لولي الأمر كمناصحة الحارس أو أي فرد في المجتمع فالنصيحة للإمام تكون بالسر والرفق واللين وذكر الخير الذي فيه: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عُثْمَانَ فَتَكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمَعُكُمْ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ. مَا دُونَ أَنْ أَفْتِشَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ. وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ. بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ. فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ. فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَىٰ. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٤).

الأمر الثاني: بيان الأحكام والتشريعات للناس في خصوص الحقوق والواجبات والمسؤوليات التي بها يقضى على جميع الخلافات والمنازعات وتسود المحبة في حياة الراعي والرعية. ومن ذلك درء الفتن وحسن الظن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ٢٥٥.

(٤) انظر صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله حديث رقم: ٢٦٧٤ (٨/٢٢٤).

بالوالي و التحذر من الخروج والحذر من الخوارج: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بُعِثَ إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ فقسمها بين أربعة» وعند البخاري وحدثني إسحاق بن نصر حدثنا عبدُ الرزَّاق أخبرنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: بَعَثَ عليٌّ وهو في اليمن إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تربتها فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عُيَيْنَةَ بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي ثم أحد بني نهبان فتغيظت قريش والأنصار فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: إنما أتألفهم، فأقبل رجلٌ غائرُ العينين، ناتيءُ الجبين، كثُ اللحية، مشرف الوجنتين، مخلوقُ الرأس، فقال: يا محمدُ اتقِ الله، فقال النبي ﷺ فمن يطيع الله إذا عصيته فيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، فسأل رجلٌ من القوم قتله، أراه خالد بن الوليد، فمنعه النبي ﷺ، فلما ولى قال النبي ﷺ: إنَّ من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروقَ السهم من الرميَّة يقتلون أهلَ الإسلام ويدعون أهل الأوثان لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(١).

الأمر الثالث: أن العدل كل العدل في الحكم بما أنزل الله وبه ينعم الناس بمحبة بعضهم لبعض، وأن الأحكام الوضعية البشرية منبت للظلم والفساد، وبها تفشو الكراهة والأحقاد.

ثانيا: العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

(١) تشخيص انحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

الإنسانية، كلمة تدل على الإنسان بما حمل من صفات فطرية من توحيد الله ومحبة ورحمة، قبل أن تتألفها الأطماع الذاتية المؤدية للقسوة والظلم، وأصبحت هذه الكلمة رمزا للذكرى بحق الإنسان على الإنسان، وبحق الحياة والعيش السوي لكل ما يدب على الأرض من المخلوقات، وعندما ينسلخ الإنسان من صفاته الفطرية، أو ينحرف عنها، تنعدم منه الإنسانية بمفهومها العادل، فيتحول إلى إنسان نظام، أو طاغية وظالم، لا يؤمن العيش معه، ولا ينعم معه بمعنى الإنسانية، وأعظم شيء يُفقد من الإنسانية، عقيدة التوحيد، وعقيدة البعث والحساب، فإن الذي لا يؤمن بالله ولا بالبعث والحساب؛ فإنه يفعل بهواه، ويقود الآخرين بنار قوة الذات، ويجلدوهم بعضا النظام أو الظلم، ولا يعتبر قيمة لأحد إلا ما أشيع هواه، وهذا منيع فقدان المحبة والإنسانية، يقول الله تعالى في حق الجبابرة، قال الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢) قال البغوي في تفسيره: (قال أكثر المفسرين: دعا غمرو د برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له، فانتقل إبراهيم إلى

(١) انظر صحيح البخاري- كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى (تخرج الملائكة والروح الملائكة والروح إليه حديث رقم: ٧٤٣٢/٩/١٢٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

حجة أخرى، لا عجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمت إن كنت صادقاً فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى. (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) أي تحير ودهش وانقطعت حجته^(١) ولقد نزع الله ملكه وأهلكه الله فيمن أهلك، وهذا مصير كل من عدم الإنسانية، عناد وطغيان مع ظلم، ينتهي بفسق وكفر وسوء عاقبة في الدنيا والآخرة. وتشخيص الدعاة إلى الله لانحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم، يجب أن ينطلق من عقيدة الوجود والغاية من كل موجود في الوجود، أن له حق العيش والحياة الكريمة، وحق التفكير والرأي لمن منح العقل والتفكير، فالنظام مطلوب في نسق الحياة وهو من أولويات النجاح والتطور، ولكي نصل إلى ذلك، يجب علينا تطبيقه مع مراعاة مبادئ الإنسانية، من الخلق الحسن والرحمة والمحبة، واعتبار الذات واحترام الآخرين، والمشاركة في قضاء حاجات المحتاج، وأن الله رفع الحرج عن الناس، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وهذه هي إنسانية الإسلام، قال الله عز وجل: (هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)^(٢) الإنسانية في الإسلام فضل فوق العدل، فإن العدل مطلوب وهو الحق المشروع في النظام، وأما الإنسانية فهي الحق المشروع على النظام، وعلى كل راع ورعية أن يتراحموا بينهم بحق الرحم الأولى، فإن ذكرها يثير الحجة ويترع العدواة، ففي رحمة الإنسان للإنسان وغيره من المخلوقات، وتراحم الطير والوحش والحيوان، ذكرى عظيمة برحمة الرحمن الخالق المنان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ بِهَا يَتَرَاحَمُونَ بِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). ومن نزعته منه الإنسانية في حكمه ورعايته ونزعته منه الرحمة، فقد تفضلت عليه الوحش والحيوان في رحمة جنسها بالحفظ والدفاع ومشاركة الحياة. وكل من أعان على ذلك مختاراً فهو داخل في دائرة الانحراف هذه، وهذا التشخيص الدقيق لمن انحرفت المحبة في علاقته الإنسانية ظلماً وطغياناً وعلواً، وأظلم منها أن يعبد الإنسان الإنسان أو الشجر أو الحجر أو الحيوان وغيرها محبة من دون الله، ومن منطلق المسؤولية وعلاقة الإنسانية أن يربي الآباء الأبناء على عقيدة التوحيد الخالص، قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ هُوَ يَعْظُهُمْ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٤).

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٣١٦ - ٣١٧.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى وأما سبقت غضبه، حديث رقم: ٧١٥٠ (٩٦/٨).

(٤) سورة لقمان: ١٣.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن القتل وسلب الأموال، وانتهاك الحرمات، وقهر الذوات، نتائج حتمية عند فقدان الإنسانية، ولا محبة ولا كرامة معها أبداً، فمن دور الدعاة إلى الله تبصير الناس بحق الإنسان على الإنسان، وحق الحياة لكل من يشارك فيها، وأن يجعلوا منطلق الإنسانية حسن المعاملة، وغلبة العاطفة على العقل في موطنها، فيعطف الكبير على الصغير، ويرحم القوي الضعيف، ويساعد الغني المحتاج، ويرحم الإنسان الطير في الهواء والحوث في الماء، ويجب الإنسان الإنسان ويعمل كل راع بحب وعاطفة مع رعيته، ويكف عن العسرة، ويكسر قيود الأنظمة الظالمة، ويقدم اليسر والبشارة. هذا الدور الذي يقوم به الدعاة إلى الله، علاج محوره المحبة، ولا ينفك عن نصوص الشرع الآمرة بالرحمة والتكافل، ومواقف السيرة الحافلة بمعاني الإنسانية بشتى صورها ومن ذلك:

١) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ الثَّقَلَيْنِ^(١): هُوَ الْخَضِرُ، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ - قَالَ: (إِنِّي لَبِلَادِنَا إِذْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتٌ وَأُلَوِيَّةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا لَوَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ بُسِطَ لَهُ كِسَاءٌ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَسْقَامَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ، ثُمَّ أَغْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أُغْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ، عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدِرْ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَدِرْ لِمَ أَرْسَلُوهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَسْقَامُ؟ وَاللَّهِ مَا مَرَضْتُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُمْ عَنَّا، فَلَسْتُ مِنَّا، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ، وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدْ أُلْتَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فِرَاحٍ طَائِرٍ، فَأَخَذْتُهِنَّ فَوَضَعْتُهِنَّ فِي كِسَائِي، فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي، فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ، مَعَهُنَّ فَلَفَفْتُهِنَّ بِكِسَائِي، فَهُنَّ أَوْلَاءٌ مَعِي، قَالَ: ضَعْنَهُنَّ عَنْكَ فَوَضَعْتُهِنَّ، وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَنْعَجِبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْفِرَاحِ فِرَاحِهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَوَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْفِرَاحِ بِفِرَاحِهَا، ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ فَرَجَعَ بِهِنَّ^(٢).

٢) عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (الحمرة طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي ترفرف) فجاء النبي ﷺ فقال "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها" ورأى قرية غل قد حرقناها فقال "من حرق هذه؟" قلنا نحن قال "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"^(٣).

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن أبو جعفر النقيلي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب الأمراض المكفرة للذنوب، حديث رقم: ٣٠٩١ (١٤٩/٣). ضعفه الألباني.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث رقم: ٢٦٧٧ (٨/٣). صححه الألباني.

٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أُحْرِقَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ)^(١).

٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأْ خِفَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَقَى، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ »^(٢).

٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (أَنَّ أَسْوَدَ - رَجُلًا، أَوْ امْرَأَةً - كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ؟ قَالُوا مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا آذَنْتُمُونِي، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذًا وَكَذًا قِصَّتُهُ، قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ قَالَ: فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ)^(٣).

٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْنِيهِ: أبا الْمَسَاكِينِ.^(٤)

نصوص رحمة الإنسان بالإنسان، من الكتاب والسنة، كثيرة جدا، و ما عرضت هنا من نصوص يغلب عليها الرأفة بالحيوان لغاية وهي: هل الإنسان أكرم، أم الحيوان ؟ والجواب لا يقتضي التفكير، فقد كرم الله الإنسان بالعقل والتكليف بالعبادة واصطفى منهم الأنبياء والمرسلين، ولكن قد يصل بعض الناس، إلى مستوى أدنى من الحيوان، حين يفقد الإنسانية ويضل في معنى العبودية لله، ويخسر محبة الله والناس ويقع في العذاب، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأِتْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)^(٥) قال ابن كثير في تفسيره: (ولهذا قال في هؤلاء: { بَلْ هُمْ أَضَلُّ } أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر به، من البشر، كانت الدواب أتم منه)^(٦)

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرقَ المشركُ المسلم، هل يحرق؟. حديث رقم: ٣٠١٩ (٦٢/٤).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المساقاة - باب سقي الماء، حديث رقم: ٢٣٦٤ (١١٢/٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، حديث رقم: ١٣٣٨ (٩٠/٢).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب مجالسة الفقراء، حديث رقم: ٤١٢٥ (٢٣٩/٥). ضعفه الألباني.

(٥) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٥١٤.